مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 18 العدد01 2022/01/15

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

قراءة انثروبولوجية في بعض طقوس الولادة بمنطقة تلمسان (الجزائر)

Reading in some of the birth rituals in Tlemcen

ابرير سامية*

جامعة ابي بكر بلقايد – تلمسان، مركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية– وهران

ibrir.samia@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/10/15 تاريخ القبول: 2020/11/19

ملخص:

تعد الممارسات الطقوسية الخاصة بالولادة في منطقة تلمسان متنفس للمرأة فهي فضاء يعبر فيه عن امور كثيرة، كالانتقال من مكانة اجتماعية لمكانة اخرى و التعبير عن الانتماء لطبقة اجتماعية معينة، في هذا المقال سنحاول عرض بعض الطقوس التي تمارسها المراة بعد الولادة و ابراز وظيفتها، ففترة النفاس هي اكثر المراحل الحساسة في حياة المراة و لربما وظيفة الطقوس الممارسة هي تحقيق نوع من التوازن النفسي لديها.

الكلمات الدالة: الطقوس، النفاس، الولادة، المخيال، منطقة تلمسان.

Abstract:

Birth rituals in the area of Tlemcen are considered as a woman's outlet, it is a space where a lot of things are expressed, like moving from one social standing to another, and the expression of belonging to a particular social class. In this article we will try to show some women's rituals after giving birth, and highlighting their job during the maternal period. Those practiced rituals could be to achieve in her a sort of psychological balance.

Keywords: Rituals; maternity; birth; imaginary; Tlemcen.

مقدمة:

عرف الانسان منذ القدم بميله لممارسات طقوسية في شتى مراحل حياته، و التي جعلها تتماشى ايضا مع ايقاع المواسم و الفصول المتباينة في السنة، اضافة الى الطقوس الدينية و التي لدى كثير من

* **المؤلف المرسل**: ابرير سامية، **الايميل**: ibrir.samia@gmail.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الشعوب تكون بصفة يومية، ان وجود هذه الممارسات الطقوسية الحاضرة بقوة تبين حاجة الانسان لها سواء كانت من الجانب النفسي او الاجتماعي بل وحتى الاقتصادي، و من هنا تبرز الطقوس كنسق ثقافي مكون للبناء الاجتماعي. تختلف المجتمعات من حيث ثقافاتها الا ان الهيكل الذي يكون بناءها هو نفسه، فالطقوس مثلا و ان اختلف مضمونها هي موجودة في كل المجتمعات، و تتبع الممارسات الطقوسية الفرد من ولادته الى غاية مماته، وبفعل التنشئة الاجتماعية يتم اعادة انتاج نفس الممارسات و ضمان استمراريتها، فنجد ان عامل الانتشار الثقافي و التطور التكنولوجي و ارتفاع مستوى الوعي العلمي يؤثر بشكل مباشر او غير مباشر على هذه الطقوس، لكن التغيير غالبا ما يمس المحتوى و لعل من بين اكثر الطقوس ممارسة في مختلف المجتمعات طقوس الولادة، التي عادة ما تكون مبعثا للفرحة و الابتهاج، هذه الطقوس لها كيانها المتفرد بحالته بتباين الثقافات حتى في المجتمع الواحد، و نظرا لكون طقوس الولادة حاضرة بقوة في المجتمع الجزائري كان من المهم التطرق لها لدراسة جوانب هذا الموضوع المثير للفضول العلمي، و كان التساؤل الذي حاولنا الاجابة عليه من خلال هذه الدراسة يتمثل في الطرح التالي: في ما تتمثل طقوس الولادة في منطقة تلمسان و ما هي الوظائف التي تشبعها؟

تندرج هذه الدراسة ضمن بحث بهدف اعداد اطروحة دكتوراه بإشراف البروفيسور سعيدي محمد، بجامعة ابي بكر بلقايد – تلمسان، امتدت الدراسة منذ سنة 2016 الى غاية 2019 بتلمسان بين المناطق الحضارية و الريفية، حصرت العينة التي اخترناها عينة قصدية في مجموعة من النساء المتزوجات التي تختلف اعمارهن و ذلك للجمع بين الطقوس التي تقام في الفترة الحالية و تلك التي كانت تقام في فترات ماضية، اضافة الى ان بعض المبحوثات هن مدلكات وهن متقدمات في السن، استعملنا كوسيلة لجمع المعطيات المقابلة المعمقة و الاستبيان بهدف رصد اكبر قدر من المعطيات حول الطقوس التي مورست سابقا و الطقوس الممارسة حاليا.

اولا: في معنى الطقوس:

يدل الطقس على "الشعيرة" و في اللغة العربية يقترن مدلول الشعيرة بالممارسات المقدسة التي لها علاقة بالدين و بكل ما هو مقدس من خلال مناسك العبادة، فالتعاليم الدينية تنص على شعائر هي عبارة عن ممارسات طقوسية مثل الصلاة و الحج و اضحية العيد، لكن الطقس اوسع من الشعيرة، لان

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

هذه الاخيرة ترمز الى ممارسات مقدسة اما الطقوس فقد تكون عبارة عن ممارسات مقدسة او مدنسة، و هنا ندرج هذا التعريف: " فان مجال الطقوس يشمل ايضا الى جانب ذلك الانشطة و الممارسات غير الدينية بما في ذلك الانشطة الاقتصادية و السياسية و الرياضية، و افعال التواصل و التبادل التي تتم بين الافراد في معيشهم اليومي"(منصف المحواشي، 2010، ص19). و اما المصطلح اللاتيني Rite (La rousse, 1988, p 1652) فقد تم اشتقاقه من كلمة Ritus اللاتينية التي تعني مجموعة من الممارسات سواء كانت كلاما او افعالا تقام في شكل منظم تتبع رزنامة وقتية و ضوابط معينة تخضع لها الجماعة و قد تكون في اطار احتفالي.

اولى ايرفينغ كوفمان لطقوس التفاعل Rituels d' interactions اهتماما كبيرا في مقاربته السوسيولوجية للممارسات اليومية البسيطة، مبينا كيف تحدث بانتظام و الرموز المخفية التي تسير التواصل الاجتماع، كشف كوفمان عما وراء فوضى الممارسات اليومية فهي قد تبدو ممارسات لا تخضع لنظام و لكن في الحقيقة هي انشطة منتظمة، ينخرط الناس فيها و يتقيدون بها دون أن ينتبهون الى ما فيها من دلالات رمزية، كما بين ارفينغ كوفمان أن الناس كائنات طقوسية بامتياز و لا يمكنهم العيش معا الا بواسطة طقوس تنظم مبادلاتهم الرمزية المختلفة، حيث شبه المجتمع بمسرح يومي يؤدي فيه الافراد ادوارا منتظمة وفق طقوس تفاعلية لا تستوي الحياة الجماعية و لا تحافظ على توازنها بدون الطقوس، و ضمن هذه اللعبة يملئ كل فرد مكانة له ضمن مسرح المكانات الاجتماعية محافظا خلال ذلك على مقامه او على ما يسميه كوفمان ب "ماء الوجه"، فالمحافظة على هذا الماء اساسية ضمن قواعد التفاعل البشري و الحياة الاجتماعية (Goffman Erving,1973, pp 30-5).

اذا ما فككنا رموز الطقس و حللنا خصائصه لمحاولة تفسير استمرارية ممارسته، و التي قد تبدوا للأخر بعيدة عن العقلانية سنتمكن من ادراك سبب ممارسة الافراد له، فبالتمعن فيه سنلاحظ انه يخضع لمبدئ التكرار خلال زمن مضبوط لإحياء حدث وقع في زمن غابر او الاحتفال بمناسبة دينية او اجتماعية تستمد اهميتها من خلال العمليات المميزة للفعل الطقسي و هي: التقعيد، التكرار و الشحن الرمزي، فالتكرار يدل على أن هناك حاجة يلزم أن تشبع، و الشحن الرمزي من خلال اعطائها اصل ديني يشحن زمن ممارسة الفعل الطقوسي بالقدسية كما هو ممثل في المخيال الاجتماعي و الثقافي للجماعة التي

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

و كأنها بالقيام بالطقس تتصل بالحدث المقدس الذي واقع في زمن غابر فيعاد احياؤه ليعاش مرة أخرى، اذ "تلهم الذاكرة الجماعية بالرمز و المعنى، و تمكن المنخرطين في ممارسة الطقوس أن يعيشوا في زمنين اثنين معا: زمن اسطوري متخيل، و اخر هو الزمن الفيزيائي الحقيقي او الفعلي، و عند التقاء الزمنين المتخيل و الحقيقي كما يوقف الوصف السردي في نظام الحكي، عندئذ يتحقق شيء مما يسميه "مارسيا الياد" ب "العود الابدي الى زمن البدايات"(Eliya mirciéa, 1989, p 496).

من خلال مجموع هذه التعريفات يمكن القول ان الطقس هو عبارة عن القواعد التي تنتظم بها ممارسات الجماعة اما خلال اداء شعائرها التي تعدها مقدسة او من خلال تنظيم انشطتها الاجتماعية و الرمزية و ضبطها وفق ممارسات منتظمة في الزمان و المكان، و المهم في هذه الخاصيات هما التكرار و الشحنة الرمزية التي تفسر واقع مجتمع متغير و غير ثابت و لكنه يعرف كثافة في الممارسات الطقوسية، فالزمن الاجتماعي يعرف ايقاعات و حقب متتالية سواء كانت فردية او جماعية لكنها في كثير من الاحيان تتخذ دلالات مشتركة و هي تختلف من ثقافة لأخرى في الوظيفة التي تشغلها.

يمكن تقسيم الطقوس الى طقوس موسمية مفرقة على فترات زمنية مختلفة من السنة و يعنى بها كل الافراد في المجتمع، و طقوس اخرى انتقالية تعبر على المرور و العبور من مرحلة لأخرى في دورة حياة الفرد مثل: الولادة، الزواج، الموت، بالإضافة الى طقوس اخرى تحدث دون توقعها في خضم احداث معينة قد تكون هذه الاحداث ترتبط بظروف جماعية كالكوارث الطبيعية (وباء، جفاف)، او ترتبط بالحياة الفردية مثل: عقم، مصيبة او مرض. فمن المنظور الوظيفي تساعد الممارسات الطقوسية على تخفيف ضغط الاعباء اليومية على النفوس و على الاجساد بتفريغ المكبوتات، و تعيد لم الشمل، فالاحتفال يصبح متنفسا مثلما يصبح مسرحا يطلق العنان للممارسات المشبعة بالدلالات الرمزية التي من شانها ان تؤدي وظيفة الاشباع (منصف المحواشي، 2010، ص37).

ثانيا: وظيفة الممارسات الطقوسية:

اقترح J. Cazeneuve تصنيفا مبني على اشكالية تتمثل هذه الاشكالية في تساؤل عن الدافع الكامن وراء توجه الانسان نحو القيام بهذه الممارسات ، و في ما تكمن حاجته وراء قيامه بها، فعند الاجابة على هذه التساؤلات سنلاحظ ان الانسان يعيش تناقضا وجدانيا اجتماعيا، اذ انه يشعر بحريته و

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

لكن في نفس الوقت يحس بان عليه المثول لانتظارات المجتمع. تعترض الباحث في موضوع الطقوس ثلاثة مواقف حول السلوك الطقسي، او بمعنى مبسط هي ثلاث حاجات تشبعها السلوكات الطقوسية و هي كالاتي :

1. الطمئنة و الشعور بالارتياح:

اذ ان القيام بالشعائر الطقوسية من شانه طمأنة الانسان و التخفيف من القلق الناتج عن قوى (فوق – انسانية) و التي يسميها اوتو R. Otto: بتجلي الالوهة او الاحساس النيوميني le numineux ، كما انه يرى ان هذا العنصر النيوميني يعتبر حالة وعي اولي في التجربة الدينية، هذا العنصر موجود و كامن في بنية كل التجارب الدينية، هذه الاخيرة هي السلطة التي تفزع الفرد بقدرتها.

2. التواصل مع القوى الغيبية:

يحاول الانسان من خلال احيائه للممارسات طقوسية بخلق اتصال مع عالم الغيب و قواه التي تتحكم في بعض المظاهر الكونية، و تسمى هذه الممارسات عادة التي تنجز بهدف الدخول في اتصال مماثل بطقوس السحر التي تكسر الطابوهات و تخرج عن ما هو متاح، حيث يتم الاعتماد فيها على مواد ملوثة او محظورة كالدم و العظام و اعضاء من الجثث. اهتم الكثير من الباحثين بطقوس السحر و الشعوذة فكل اعطى لها تفسيرا حسب مرجعيته النظرية، و من بينهم نجد G. Frazer الذي يرى ان اصل الاعتقاد الديني هو الممارسات السحرية قديما، اي ان هذه الاخيرة وجدت قبل وجود الدين فهي تمثل اذا المرحلة ما قبل الدينية.

3. التواصل مع وجود سامي لتطهير الروح:

يعتمد الانسان على الممارسات الطقوسية كشعائر دينية بقصد التواصل مع وجود روحي سامي بهدف تحقيق طهارة روحية من خلال التعبد الديني من صلاة او كتقديم القربان، هذه الشعائر يراها مارسال موس طقوس ايجابية و اما الطقوس السلبية بالنسبة له هي تلك المتعلقة بالصوم و الامتناع عن بعض المحظورات الغذائية و الامتناع عن الجنس(فراس السواح، 1997، ص ص 27-28) .

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ثالثا: طقوس العبور (المرور):

يعتبر الباحث فان جينب *A. Van Gennep* صاحب هذا المفهوم (طقوس العبور) فهو يتعلق اما بتغير السن و المكانة الاجتماعية للأفراد اثناء دورات حياتهم (الولادة، الختان، المراهقة، الزواج، الموت) او تغير الفترات (تغير الاعوام و الفصول) او المكان (مجرى الانهار، مكان السكن، ...) بحيث تمر هذه الممارسات عبر ثلاث مراحل: مرحلة التخلي- المرحلة الهامشية- ثم مرحلة الاندماج، و عادة ما تكون طقوس العبور مصحوبة بإقامة احتفالات و رقصات تتفاعل من خلالها الجماعات الاجتماعية التي تشارك في اقامتها. تمكن اقامة هذه الحفلات، الفرد من التخلي عن مكانته الاجتماعية السابقة و الحصول على مكانة او هوية جديدة، و تكون في بعض المجتمعات البدائية عبر المرور بطقوس تكريسية قاسية (محمد عبده محجوب، 1985، ص22).

تلعب طقوس العبور دورا مهما في حياة الانسان المتدين، حيث تمتد طقوس العبور من الولادة الى الموت، و يجب الاشارة الى ان طقوس العبور لها صلة وطيدة مع الحالة الاجتماعية، عند ولادة الطفل يكون وجوده مقتصرا على جسده اي وجوده المادي، فعلى العائلة تقديمه للمجتمع كدليل على اعترافها به و ايضا ليعترف المجتمع بدوره بهذا الفرد المولود حديثا، لذلك تنظم مراسيم طقوسية بعد الولادة تعتبر اول طقوس للعبور يعيشها هذا الفرد الجديد اذ تجعله يمر من صيغة المجهول الى فرد حي معترف به من قبل الجماعة (مارسيا الياد، المقدس و المدنس، ص 135).

ان المولود الجديد و حسب اعتقادات الكثير من الشعوب، يواجه مخاطر جمة عند خروجه الى العالم الجديد فالولادة عرفت منذ القدم بصعوبتها، تستغرق هذه المرحلة الحرجة على الاقل سبعة ايام الى اربعين يوما، و خلالها يتم حمايته خاصة من المؤثرات الخارجية و الخطيرة .(Pierre Bonte, Anne-Marie Berisebarre, 1999, p 126)

حسب التقاليد المتعارف عليها و المعتقدات الشعبية، لا يتم تسمية الطفل خلال مدة سبعة ايام الاولى، لذلك يجب اخفاؤه حتى يكون مجهولا من طرف بعض الكائنات الروحية التي تمثل خطرا على حياته مثل الجن و التبعية و العين الشريرة.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

خلال هذه المرحلة يتم تجنب اتباع بعض الطابوهات اللفظية و المحرمات المتعلقة بتسمية المولود الجديد، فعادة ما يعطى له اسم يحمل رمزيا الحظ و السعادة *un nom porte bonheur* كالأسماء المشتقة من (البركة) مثل مبروك و مباركة، او من السعد (الحظ).احيانا و نتيجة لبعض التصورات التي تعود للمخيال الشعبي الديني، فان بعض الاوساط الاجتماعية تتمنى ان يكون المولود ذكرا، كما يفسر بعض الناس ان تسمية ابنهم باسم ولي معين هو نتيجة رؤيا رءاها احدهم في الحلم في رحاب ولي من اولياء الله الصالحين و تعهد ان يخلد اسمه اذا ما رزقه الله ولدا (سعيدي محمد، 1999، ص125).كما تعطى بعض الاسماء للأطفال عند ولادتهم، في بعض المناطق من المجتمع الجزائري، حسب المخيال الاجتماعي السائد في المجتمعات المحلية، تبركا بالأولياء الصالحين المتواجدين في المنطقة او شيوخ الصوفية الذين يعتبرون من رموز منطقة معينة مثل بومدين دفين تلمسان او الهواري نسبة لسيدي الهواري بوهران او عبد الرحمان نسبة لسيدي عبد الرحمان بالجزائر العاصمة.

في اليوم الأول من الولادة يتم اسماع الاذان في الاذن اليمنى للطفل، و الهدف من هذا السلوك هو ابعاد الارواح الشريرة عن الطفل و المصائب بكل انواعها، قبل حلق الشعر و ذبح الاضحية (محمد حمادي، 2011، ص 220) . في ظل الحداثة و العصرنة تحرر الانسان في الكثير من المجتمعات المتطورة من تلك الممارسات الطقوسية، و لكنه احتفظ ببعضها و خاصة الانسان المنخرط في الحياة الدينية، لان هاته الطقوس تؤدي وظائف مستترة و تشبع حاجات كثيرة، " و لكن الانسان العصري الذي يشعر بنفسه و يدعي اللاتدين مازال يتصرف بميثولوجيا كاملة مموهة و طقوسيات مختلفة. و كما ذكرنا انفا، فان المسرات التي ترافق السنة الجديدة او الاستقرار في منزل جديد تمثل، علمانيا، البنية الطقوسية التجديد. و يلاحظ نفس الظاهرة بمناسبة الاعياد و المسارات المرافقة للزواج او ولادة ولد، و الحصول على جديد، او ترقية اجتماعية...الخ" (مارسيا الياد، 1988، ص 148).

رابعا: تحليل النتائج:

1. طقوس الولادة:

تعرف النساء الجزائريات بميلهن للاحتفال ببعض المناسبات و تحضيرهن حاجيات كل مناسبة بشغف، قد يكون الزواج اكثر المناسبات التي تجلب اهتمام المراة و لكن الولادة مناسبة لا تقل شانا عن

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الزواج، و هي الحدث المهم في حياة المراة بعد اقترانها، فحمل المراة دليل على خصوبتها و تعزيز لمكانتها في اسرتها الجديدة و الولادة تعني المرور من مكانتها كزوجة الى ام و هي مكانة اجتماعية ترمز الى الكثير، فطقوس الولادة يمكن ان نعتبرها طقوس مرور للام ايضا و ليس فقط للمولود لأنها تسمح لها بالارتقاء و المرور الى مكانة جديدة، خاصة اذا كان المولود ذكرا، فبالرغم من ان بعض المعتقدات تغيرت في مخيالنا الجمعي و لكن بعضها لم يمحى نهائيا و هو حال انجاب الذكر، فمن خلال الدراسة الميدانية لاحظنا انه لا يزال يفضل انجاب الذكر اكثر من الانثى خاصة من طرف النساء، فهن اكثر راحة و فخرا في قرارة انفسهن اذا انجبن الذكر، فهذا الاخير سيضمن مكانتهن عند ازواجهن و عائلة ازواجهن التي تأثر على طبيعة العلاقة بين الزوجين، كما تشعر ايضا بالاعتزاز امام الاخريات و كان انجاب الذكر يعطي المراة قوة و سلطة، فهي ستصبح ذات يوم محط الانظار و مركز للاهتمام لأنها ام لذكر و من شانها ان تأثر فيه ليطلب يد ابنت احداهن فتكون الامرة الناهية. تقول احدى المبحوثات ان زميلتها في العمل قالت مرة و هي تمزح انه على زميلاتها تدليلها فلعل و عسى ترضى و تخطب احدى بناتهن لابنها، بالرغم من ان ابنها في ذلك الحين كان لم يبلغ السنة من عمره.

في اثناء فترة الحمل تقوم النساء بممارسة بعض الطقوس و هي حسب الحاجة لها و الهدف منها، فلكل طقس مبتغى تسعى اليه الحامل ومن بين هذه الممارسات الطقوسية ما يلي:

2. طقوس التجهيز للولادة:

تجهيز مستلزمات المولود: تمر الكثير من النساء اثناء فترة الحمل بأوقات عسيرة، فالوحم و اعراضه ثم الام الظهر و المفاصل و الشعور بالثقل و كل المضاعفات الاخرى تجعل من الحمل فترة صعبة، فيكون التسوق لشراء ملابس و مستلزمات المولود الجديد فسحة نفسية تبهج الام المستقبلية و تنسيها المها، صرحت المبحوثات ان التسوق للرضيع المنتظر هي فرحة تعوض المراة.

المراة التي وضعت من قبل سواء ذكرا او بنتا تستفيد من ما احتفظت به من ملابس مولودها الاول للطفل الموالي فلا تشتري الكثير، اما المراة التي تحمل لأول مرة فعليها ان تجهز مولودها كليا، و لكن في منطقة تلمسان اول مولود تجهزه ام الحامل، فهي عادة عرفت في منطقت تلمسان، انما يكون هذا الجهاز حسب القدرة المادية للام.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

في حالة عرفت الحامل جنس الجنين فإنها تشتري مستلزمات المولود باللون الذي يرمز لجنسه، فان كان ذكرا كانت المشتريات بلون ازرق و ان كانت بنتا اشترت لها ملابسها و مستلزماتها باللون الوردي، و قد صرحت بعض المبحوثات انهن يملن الى شراء المستلزمات بالألوان التي تلائم كلا الجنسين مثل اللون الاخضر، و ذلك لان لا يشترين مرة اخرى نفس المستلزمات في حالة رزقن بمولود اخر و لا يكون من نفس الجنس، اي بهدف ادخار المال و عدم التبذير، بالطبع قد لاحظنا ان المستوى المادي يلعب دورا في تكوين هكذا اتجاهات، فمن هن مرتاحات ماديا لا يفكرن بنفس الطريقة، بالرغم من اننا لاحظنا ان سلوك الاحتفاظ بملابس المولود هو امر شائع لدى الامهات في منطقة تلمسان.

يتكون غالبا جهاز المولود الجديد من ما يلي: ملابس داخلية من القطن، ملابس خارجية، قطع من القماش على شكل مستطيل و اخرى على شكل مثلث و لفافات طويلة للتقميط، قبعات، جوارب، قفازات لحماية المولود من خدش نفسه، اغطية المولود، حقيبة صغيرة لأدوات الحمام، حقيبة كبيرة، حفاظات، قارورة حليب و اخرى للماء، جهاز زجاجي للحلب tire lait، السرير، هذه هي المستلزمات الضرورية و لكن هناك ادوات اخرى هناك من تشتريها و هناك من تستغني عنها مثل: وسادة الرضاعة، الحاملة: kangourou، عربة الاطفال une poussette، الة التعقيم، لباس يوم السبوع الذي يسمونه Robe de Baptême . ان الامهات الان تأثرن بالثقافات الاخرى بفعل وسائل الاعلام و التواصل الاجتماعي و هذا ما لاحظناه في اماكن التواصل الاجتماعي و من خلال البحث الميداني، حيث اصبحن يقلدن الغرب في بعض الممارسات مثل لباس يوم العقيقة و الذي يسمونه باللغة الدارجة يوم السبوع اي انقضاء سبعة ايام عن الولادة، هذا اللباس هو بالترجمة الحرفية لباس المعمودية و التي تعتبر طقسا من طقوس المسيحيين.

• تجهيز حقيبة الولادة: تأخذ النسوة معهن عند ذهابهن للوضع حقيبة يحملن فيها ملابسا للتغيير، اذ اصبح متوفرا في الاسواق ملابسا للحوامل و اخرى خاصة بالرضاعة لتجنب العناء الذي تسببه الملابس العادية المغلقة عند الصدر فتصعب بذلك امكانية ارضاع الوليد، و النسوة التي يلدن في المستشفيات العمومية يصحبن معهن افرشة ايضا.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

• التجهيز للاحتفال بالمولود: عند اقتراب موعد الوضع تبدء المراة الحامل في تجهيز متطلبات القصعة و السبوع للاحتفال بالمولود، و تساعدها في بعض المرات العائلة، حيث تجهزن الحلويات و مكونات اكلة الطمينة او التي يسميها البعض تقنتة، و مكونات اكلة البركوكس و بعض الاعشاب التي تطحن لتقدم معه و التي تدعى العشوب، اضافة الى الاواني و الافرشة لاستقبال الضيوف، و بالطبع يتم تنظيف البيت تنظيفا مكثفا.

3. الم الولادة او المخاض:

ان الولادة بالنسبة للمرأة امر جلل، فالولادة تخيف المراة و تجعلها تهلع و ذلك نظرا للألم الكبير الذي تسببه، و خاصة في حالة تعسرها الامر الذي يستدعي استعمال ادوات معينة مثل les forceps او للقيام بشق العجان او الاضطرار الى اخراج الجنين بعملية قيصرية، اضافة الى ادراك النساء ان الولادة هي احد اكثر المسببات للوفاة بسبب المضاعفات كالنزيف و ارتفاع ضغط الدم، و بالرغم من ذلك نجد النساء يعشن غبطة قريرة في انفسهن بلقاء مولودهن فالولادة في علم النفس تسمى بالألم الجميل le mal jolie، و ذلك للان الالم مصاحب بفرحة الشعور بالأمومة.

كما يجب ان نذكر ان الالم الذي يلي الولادة في بعض الحالات و الذي يسببه رجوع الرحم لمكانه و تقلصه هو الم قد يضاهي احيانا الم الولادة، اما الالم المستمر بسبب الجراحة في حالة الولادة بعملية قيصرية فيستدعي الكثير من الانتباه من طرف المراة حتى تتفادى الفتق و الالتهاب. ان المبحوثات التي يلدن بالقيصرية يتحصرن على عدم قدرتهن على الولادة طبيعيا، اذ يقلن ان الم الولادة الطبيعية يدوم فترة الولادة ثم يزول، اما الولادة بالعملية القيصرية امر مضني، صحيح انهن لا يشعرن بالألم اثناء الوضع و لكنهن يتعذبن مطولا بعد ذلك، ناهيك عن التشوه الذي تتركه فتحة الجراحة و الذي لا يزول مع الوقت.

بالنسبة للمبحوثات التي يلدن بشق العجان و هو شق جانبي تقوم به القابلة او طبيب التوليد في حالة لم يفتح عنق الرحم كما ينبغي ثم تتم خياطته بعد اخراج الجنين، طبيا ينبغي تخدير المكان موضعيا خاصة اثناء الخياطة الا انه في المستشفيات العمومية لا تخدر الوالدات اثناء خياطتهن ما يسبب الما مبالغا، حيث ادلت المخبرات ان الم الخياطة يفوق الم الولادة و يدوم لعدة ايام ان لم نقل اسابيع حتى يشفى كليا.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

معظم المبحوثات الغير متقدمات في السن من وضعن في المستشفيات العمومية لديهن ذكريات سيئة عن ولادتهن، خاصة من تمت معاملتهن بشكل سيء من طرف القابلات، اما المبحوثات المسنات فيقلن ان الم الولادة احيانا يكون قاسيا و لكن سرعان ما يعدن لنشاطهن بعد الولادة دون مضاعفات و يرجعن السبب لكونهن طيلة فترة حملهن يعملن دون كلل و دون راحة الامر الذي يسهل عليهن ولادتهن، كما يرجعن الامر ايضا الى الستر و البركة، فقديما لا تذهب المراة الى طبيب عام او الى طبيب النساء و التوليد من اجل متابعة الحمل و لا يلدن في المستشفيات، بل يلدن في المنزل في سترة تامة فيبارك الله فيهن هذا هو اعتقادهن، و لكنهن يدلين ايضا ان احتمالات الموت عند الوضع سواء للام او الجنين كانت كبيرة مقارنة بها حاليا، فالكثير من معارفهن توفين اثناء الوضع او توفي مولودهن، صرحت احدى المبحوثات انها اثناء وضعها لمولودها الثاني سنة 1990م شارفت على الموت، حيث ولدتها امرأة مسنة كانت تولد النساء الا انها اهتمت بالمولود و نسيت امر المشيمة التي لابد ان يتم اخراجها بعد اخراج الجنين و التي تسمى باللغة الدارجة الخلاص، الامر الذي تسبب لها بألم شديد و بعد عرض حالتها على طبيب عام تدارك الامر و اخرج بصعوبة المشيمة، و قالت ان الطبيب بعد الكشف عنها كان في حالة غضب شديد لان حياة المراة كانت في خطر مفتق و قد صرخ بصريح العبارة على اهل المراة بان الولادة في البيت اصبحت خطرا على حياة الام و يجب العزوف عنها.

4. النفاس:

هو الاسم الذي يطلق على الفترة التي تلي الولادة و تدوم اربعين يوما، و المراة في هذه الفترة يطلق عليها اسم "النافسة"، و النفاس مقترن بدم النفاس الذي يمكن ان تنزف به المراة 40 يوما، و في المعتقد السائد في منطقة تلمسان تبقى النافسة معرضة لخطر الموت طيلة فترة نفاسها اذ يقال: " قبر النافسة يبقى محلول ربعين يوم"، و الكثير من المبحوثات قدمن امثلة عن معارفهن اللواتي خرجن من المستشفى بعد الولادة في صحة لابأس بها و بعد ايام قليلات توفين فجأة، غالبا يكون السبب الطبي هو نزيف و في الكثير من الحالات تدفن المراة دون ان يعرف السبب، ناهيك عن حالات نادرة من الانتحار بسبب ذهان ما بعد الولادة و هو اضطراب عقلي حاد يظهر بعد الولادة تكون اعراضه: البكاء، الكأبة ، التشاؤم، افكار انتحارية. بالإضافة الى ذلك تروي مجموعة من المبحوثات انهن في نفاسهن يتعرضن الى

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

مشاكل في العائلة من طرف الزوج و عائلته الامر الذي يسبب لديهن قلقا نفسيا يجعلهن يدخلن في دوامة من البكاء المستمر، و من المفروض ان يتم مراعات المراة في هذه الفترة لأنها تكون ضعيفة جسميا بعد الحمل و فقدان الكثير من الدم جراء الولادة، و نفسيا ايضا لأنها تصبح اما مسؤولة عن رضيع و قد لا تكون على دراية كيف تتعامل معه اذا كان مولودها الاول، كما تتغير ابعاد جسمها بشكل لم تتعود عليه و تكون جراء صدمة الام المخاض، دون تناسي بان التغير الهرموني في جسمها يسبب لها حالة نفسية غير اعتيادية، كل هذا يجر الام الى الدخول في حالة كأبة فمنهن من يشعرن بفرط في الحساسية من اي ظرف فتجدهن يبكين اغلب الاوقات و منهن من تعيش نفرانا من المولود و هذا ما يسمى Baby blouse.

5. طقوس الولادة:

• **طقس الشد:** كانت المراة تميل سابقا بعد الوضع الى تعصيب راسها اي وضع وشاح و شده جيدا اعتقادا منهن ان المراة اثناء الحمل تكون عظام جسمها قد ازيحت من مكانها و كأنها حلت نوعا ما لذلك هي بحاجة لان تشد بإحكام على بعض المناطق لتعود لمكانها خاصة و ان الكثير من النساء يتعرضن بعد الوضع الى الام شديدة في الراس، كما يضعن وشاح اخر على البطن مع الشد المحكم حتى لا يبقى البطن منفوخا و يرجع الرحم الى مكانه، و غالبا يجب ان يكون الوشاح خاصا بالعمامة و ملكا للجد و هو ما يسمى في تلمسان (الحواق او الرزة).

• **وضع الكحل:** و كذلك وضع البسة دافئة حفاظا على صحتها و على خصوبتها، فالدفئ له اهميته في المخيال الاجتماعي و الثقافي في وسط النساء بمنطقة تلمسان، و لكن حاليا بدء هذا السلوك يغيب في بعض الاوساط في منطقة تلمسان خاصة المناطق الحضرية، بالطبع ما عدى معتقد الحفاظ على الدفئ، اذ اصبحت النساء في فترة النفاس تتجملن و لكن بالبسة توفر الحرارة للجسم مخافة التعرض لمضاعفات.

• **اخفاء سرة الوليد:** يسود اعتقاد شائع في بعض المناطق من تلمسان ان السرة تجلب الحظ و عليه تخفيها الام بعناية و تستعملها كأداة جالبة للحظ في المواقف الحاسمة، و في بعض المناطق تدفن السرة في مكان لا يجب ان يعلم خوفا من ان تستعمل في امور شعوذة قد تضر المولود، و في مناطق اخرى تدفن

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

بمكان معين كالمدرسة او الجامعة و ذلك اعتقادا بان ذلك من شانه ان يجعل المولود من اهل العلم فيكون له مستقبل زاهر.

• **الاحتفاظ بالكيس الامنيوتي (الغمد)**: الغمد او باللغة الطبية هو الكيس الامنيوتي الذي يحوي الماء الامنيوتي الذي يحمي الجنين، حيث يولد البعض في كيسه و هي حالات نادرة، هذه الحالات في منطقة تلمسان امر مفرح فالاعتقاد الشائع انها اشارة بان المولود مبارك فيه و انه سيكون مستورا بقدرة الاله طيلة حياته، كما ان الغمد كما يسمى في اللغة العامية يتم الاحتفاظ به لأنه يجلب الحظ.

• **التأذين في الاذن اليمنى للمولود**: هو طقس ديني من سنن النبي محمد عليه الصلاة و السلام، حيث بعد الولادة حال ما يقدم المولود لأبيه يجب ان يسمعه الاذان في اذنه اليمنى حتى يبعد عنه وسوسة الشيطان.

• **التسمية**: قديما كان المولود يسمى على احد اجداده او يسميه احد منهم، لكن حاليا اصبحت التسميت غالبا من اختيار الابوين و في بعض الاحيان تتدخل العائلة ايضا في اختيار الاسم، و في حالة لجوء الام لطقس زيارة الاضرحة للحمل او لتجنب الاجهاض سيسمى الطفل على اسم الولي الذي زارت الام ضريحه.

تختلف الاسماء التي يطلقها الاباء حاليا على ابنائهم عن تلك التي عرفت في الاجيال السابقة، فالانفتاح بفعل الاعلام و غيره ساهم في حدوث هذا التغيير، فمنهم من يسمي الهاما من شخصيات في المسلسلات المدبلجة كاسم لميس، و منهم من يريده اسما من القران الكريم او اسم نبي او من احد الشخصيات الدينية المعروفة مثل: يونس، هارون، استبرق، و منهم من يتأثر بالتسميات الغربية مثل اسم اينزو و ميليسا.

6. الطقوس التي تلي الولادة:

• **الحناء**: تبقى الحناء سيدة الاحتفالات فهي على راس الممارسات الطقوسية خاصة الدينية منها و كذا طقوس العبور، اذ ترافق الفرد في مختلف محطات حياته تحضر في ولادته، في الختان، في الزواج، في النفاس...، حسب المعتقد تجلب الحناء البركة، الحظ، الخصوبة، الراحة النفسية كونها تقي من العين الحاسدة و من الجن، اضافة لقدراتها العلاجية و استعمالها للتزيين، يصادف ان استعمال

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الحناء يكون دائما في طابع طقوسي احتفالي بهيج كالزواج، الختان و الولادة (Isabelle Bianquis-Gasser, David le Breton, Colette. Méchin, 1999, p 82).

لعل هذا الطقس هو اقدم الطقوس و الاكثر انتشارا، حيث الكثير من الحوامل و باقتراب ولادتهن تضع لهم قريباتهمن الحناء على ايديهن و ارجلهن، و البعض الاخر يضعنها مباشرة بعد الولادة و الخروج من المستشفى، فالحناء بالنسبة لهن سيكون لها بالطبع بالإضافة الى الزينة قدرة شفائية، حيث يقلن انها تخرج الحرارة من الجسد فالمرأة بعد الولادة تصاب بحمى النفاس او حمى الحليب و تجعلها تارة تتصبب عرقا و تارتا ترتعد من البرد و لو كانت في اعز فصل الصيف، هذا من جهة و من جهة اخرى يقلن ايضا ان الحنة تخفف من الام الاطراف المتورمة بسبب الحمل و تشفيها، حيث صرحت الكثير من المبحوثات قائلة ان: " الحنة تكمد القوايم" اي انها تشفي و تخفف الم الاطراف، كما يصرحن اخريات : "الحنة نتاع النافسة" اي ان المراة التي انجبت يجب ان تضع الحناء، هناك فئة قليلة تعترض على وضع الحناء اذ انهن لا يطقن رائحتها.

يمكن ان نضم هذا الطقس الى طقوس العبور بالنسبة للمرأة، فوضع الحناء يجعلها تدرك انها نافسة اي امرأة انجبت حديثا و في وضع مختلف عن النساء و بانها انتقلت من حالة الى حالة اخرى بالأخص بالنسبة للنساء اللواتي انجبن مولودهن الاول، فهي تمر من صفتها كزوجة الى صفتها كأم خاصة و ان النساء يتعرضن بعد الوضع الى فترة من الكآبة و البعض منهن يعشن نفورا من حالهن و من المولود، و هي حالة نفسية ترجع الى تغير النظام الهرموني ليعود الى وضعه السابق قبل الحمل و كذلك الى شعورهن بالتغير في جسمهن و الم المخاض و الولادة خاصة اذا تعسرت و الم تشققات الحلمة بفعل الرضاعة، اضافة الى الطفل الصغير الذي اصبح من مسؤوليتهن و لا يعرفن كيف يتعاملن معه، كل هذا يجعل المراة تشعر بالحزن و في نفس الوقت تشعر بالذنب من نفورها من وليدها و لجسمها الذي لا تتقبل شكله بعد الولادة، لذلك تكون الحناء احد الممارسات الطقوسية التي تهون عليهن و تساعدنهن على تقبل وضعهن الجديد.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

• **القصعة**: كانت تقام سابقا في اليوم الثالث بعد الولادة، حيث تتم دعوة نساء العائلة و الجيران على مأدبة تتمثل في اكلة البركوكس الذي يقدم في اناء دائري كبير مع لحم الدجاج او لحم الخروف حسب استطاعة الفرد، ثم بعد ذلك يقدم عند وقت العصر القهوة و الشاي مع الحلويات و نوع واحد من الطمينة (تقنتة) او انواع مختلفة منها. حاليا تقام القصعة خاصة في المناطق الغير حضارية و لم تعد الزاما كما يمكن تأديتها في اي يوم تريده العائلة و ذلك حسب الظروف التي تعيشها هذه الاخيرة.

• **الفاطات**: تعرف هذه التسمية في بلدية عين فزة (بني عاد) شرق مدينة تلمسان، و هي تقريبا تشبه طقس القصعة و طقس السبوع و كأنها تجمع بينهما، حيث يحمم الطفل امام المدعوين و يقدم لهم البركوكس و القهوة و الشاي مع الحلويات و الطمينة (تقنتة).

• **السبوع (العقيقة)**: السبوع يعني اسبوع عن انقضاء عمر المولود اي سبعة ايام بعد الولادة، و هو طقس ديني يسمى بالعقيقة فمن المفروض انه في هذا اليوم يسمى الطفل المولود و يتم حلق شعره ليقدم وزن هذا الشعر المحلوق ذهبا للفقراء و تقديم اضحية لله، لكن طبعا يبقى الامر منوطا بالقدرة المادية للعائلة، عن سمرة قال رسول الله عليه الصلاة و السلام: "كل غلام مرتهن بعقيقته، تذبح عنه يوم سابعه، و يحلق و يسمى"، رواه احمد و الاربعة و صححه الترميذي.

حاليا اصبح السبوع عبارة عن حفل يقام احيانا لأغراض اخرى بالإضافة الى تطبيق العقيقة، حيث في بعض العائلات المتواضعة قد يذبح الخروف و يزكى منه للأقارب و المساكين مع تقديم مأدبة متواضعة للمعازيم، و في العائلات الاخرى حتى و ان كان دخلها متوسطا يمكن ان تقام مأدبة كبيرة مع انواع من الاكلات و المقبلات و الحلويات مع اطباق و منادل طاولات مزخرفة و مزينة على شكل رضع او ادوات لرضع و هو الامر الذي يكلف الكثير، حيث يؤدي بنا هذا الى التفكير في الدلالة الكامنة وراء هاته الممارسات الطقوسي، فهي تبدو كالتباهي و جلب الانتباه و محاولة اثبات انتماء لطبقة اجتماعية عليا.

• **التبلاع او القفيل**:

الحمام في المجتمعات التي لا تزال تحافظ عليه يحمل رمزية خاصة و ان كان الحمام عبارة عن ممارسات طقوسية متكررة فانه في حد ذاته طقس تتداوله النساء خاصة، يرمز الحمام الى النظافة التي يحث

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

عليها الاسلام، لكن ما هو مخبئ بين السطور هو ان رمزية الحمام تجاوزت مدلول النظافة، فقد اصبح الحمام فضاء تعبير عن هوية و مكانة اجتماعية و عن تواصل اجتماعي و تبادل للأخبار، "تغير مكانة بالجسد من خلال الجسد، الذي يمر طقوسيا من حالة نجاسة الى حالة نقاء، و هو شرط ضروري للتواصل مع الله ، فالأمور الاكثر نجاسة و التي لا ينبغي التقاعس في تنظيفها هي دم الحيض، دم النفاس و الجنابة، حيث ينبغي للإنسان تنظيف نفسه ليتمكن من التواصل مع الله من خلال العبادات"، و من هنا اكتسب الحمام مكانة خاصة في اعادة تهيئة الجسم بتنظيفه من النجاسة ليدخل في تواصله مع خالقه.

و كما ذكرنا سابقا فان الحمام هو مكان الممارسات الطقوسية بامتياز بل و يعتبر بالنسبة للنساء مكانا ملكيا انثاويا و امومي بالدرجة الاولى، يحضن الحمام ممارسات و حوارات من خلالها يبرز الجسد ليصبح لغة تعبر عن ضغوط ثقافية، فردية، عاطفية و جنسية و هي التي بالتعبير عنها يحاول الجسد في فضاء الحمام ايجاد حلول لها و التنفيس عنها، و هو ايضا مكان احد طقوس المرور في النفاس و مكان للعلاج ايضا كونه مكان سخن اذ يدفء الرحم لتستطيع المرأة التمكن من الحمل و الانجاب، فالحمام اذا مكان للعلاج ايضا. و يرى ليفي شتراوس(Isabelle Bianquis-Gasser, David le Breton, Colette Méchin, 1999, p 82). ان القيام بممارسة طقوسية لهدف معين يقتضي ان يؤمن المجتمع بنجاعته و بالأسطورة المبني عليها الطقس، فنجاعته دلالة رمزية مرتبطة بنظام اجتماعي اي ان لم تؤمن الجماعة بها تزول قدرتها الاحائية و قوة تأثيرها و تندثر، ومن هنا يمكن ان نقول ان الحمام له اسطورته في المخيال الاجتماعي و الثقافي فهو ليس فقط مكانا لتطهير الجسد بل ايضا مكانا للعلاج و تدفئة الرحم الذي ينبغي ان يبقى دافئا ليحافظ على خصوبته، كما هو مكان تبادل الاخبار و الاعلان عن الانتماء و التباهي احيانا.

غالبا بعد مرور اسبوع من الولادة تذهب المراة النافسة اذا كانت في صحة جيدة الى الحمام، اولا للاغتسال فغالبا ما تمنع النساء من الاستحمام في البيت بعد الولادة مخافة ان يبرد رحمهن و تذهب خصوبتهن، الا ان هذا الامر اضمحل مع الوقت و اصبحت تستحم النساء فور تمكنهن من الوقوف ما عدا في حالة الولادة القيصرية. ليس الاغتسال فقط هو الهدف من الذهاب الى الحمام بل ايضا تدفئة الجسم و الرحم و لكن الاهم هو لتأدية طقس القفيل و هناك من يسميه التبلاع، حيث تصحب المراة

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

المعنية اما امها او اختها او احدى قريباتها من لديهن الخبرة في تأدية هذا الطقس، و يطلبن المساعدة من احدى النساء في الحمام، او من المراة القائمة بالتنظيف في الحمام و التي تدعى في بعض المناطق من تلمسان ب الكياسة و في مناطق اخرى تدعى الطيابة، فهذا الطقس يستدعي تعاون امرأتين حيث تتقابلان و توضع النافسة ممتدة في الوسط و تقوم المرأتان بالضغط بالتقابل على جانبي جسدها. هذا الطقس ايضا يساهم في جلب الراحة النفسية للمرأة و يساهم في تعزيز ادراكها و تقبلها لمكانتها الجديدة كام، ناهيك عن الشعور براحة جسمية بعد ممارسة هذا الطقس.

خاتمة:

تساعد الطقوس الانسان على اعادة ضبط توازن جانبه الشعوري، فالازمات التي يمكن ان يمر بها من مشاكل يومية تفوق طاقته و طاقة المعالجين تجعله يلجئ الى الرمز و دلالاته و ممارسة الطقوس لضمان توازنه النفسي و لالتماس حلول لا يمكن ان يقدمها المنطق ربما و كما يقول سعيدي محمد يلجئ الانسان للدين و للممارسات الطقوسية القديمة لما يعيش ازمة حادة لا تحلها العلوم الحديثة و التكنولوجيا المعاصرة، فمن مجمل المقابلات لاحظنا ان الممارسات الطقوسية لها تأثير نفسي و جسمي اغلبه ايجابي على المراة التي انجبت.

6. قائمة المراجع:

- فراس السواح، دين الانسان- بحث في ماهية الدين و منشأ الدافع الديني، منشورات علاء الدين، دمشق، 1997، ص 27- 28.
- مرسيا الياد، ترجمة عبد الهادي عباس، المقدس و المدنس، دار دمشق للطباعة و النشر و التوزيع، الطبعة الاولى، دمشق، 1988، ص 135 و ص 148.
- محمد عبده محجوب، طرق البحث الانثروبولوجي - النسق القرابي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1985، ص22،
- محمد حمادي، البنية الرمزية للجسد و مظاهره الطقوسية و التعبيرية – مقاربة انثروبولوجية للجسد-، مجلة الواحات للبحوث و الدراسات، العدد 11، صدرت سنة 2011، ص 220.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

- منصف المحواشي، طقوس و جبروت الرموز: قراءة في الوظائف و الدلالات ضمن مجتمع متحول، انسانيات، العدد 49، جويلية-سبتمبر 2010، ص 37.
- سعيدي محمد، الاسم مرجعيته و دلالته- مقاربة انثروبولوجية-، مجلة انسانيات، العدد 12، 1999، 125.

- Dr par : Isabelle Bianquis-Gasser, David le Breton et Colette Méchin, Usage cultures du corps, edition L'Harmattan, Paris, 1997, p 82.
- Pierre Bonte-Anne Marie Brisebarre « Sacrifice en islam-espace et temps d'un rituel », CNRS Edition, paris 1999, p 126.
- Eliade, Mircéa, Histoire des croyances et des idées religieuses, tome 1: de l'âge de la pierre aux mystères d'Eleusis, Ed Payot, collection Bibliothèque historique,1989, p 496.
- Goffman Erving , « la mise en scène de la vie quotidienne », t.1, la présentation de soi , éd Minuit , coll. « le sens commun »,1973, p 30-50.
- Bernard Willervar, Dictionnaire La rousse, Edition la rousse, 1988, p 1652.